الإمام الترمذي وكتابه الجامع

**اسمه ونسبه :**

الإمام الجهبذ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى أبو عيسى الترمذي الضرير ، نشأ في مدينة ترمذ وهي تقع في شمال إيران .

**مولده ووفاته :**

ليس هناك ما يدل على تحديد وفاته ، ولكنه توفي ٢٧٩ وقيل أنه ناهز السبعين ، فعليه تكون ولادته ٢٠٧ .

كان ضريرًا ، يقال أنه كف بصره آخر حياته بسبب بكائه من خشية الله .

**طلبه للعلم** :

إن أكابر شيوخ الترمذي وأقدمهم وفاة توفوا في حدود سنة ٢٣٥ ھ ، فدل ذلك على أنه طلب العلم وتلقاه في حال الكِبر يعني ربما عمره ٢٥ . فهو لم يبكر بطلب العلم كالبخاري ومسلم وأبي داود .

وعليه : فإن إسناده من الأسانيد النازلة أي أن الواسطة التي تكون بينه وبين النبي ﷺ في الغالب أنها طويلة بما يناسب عصره ، فلا يوجد في كتابه الجامع أحاديث ثلاثية سوى حديث واحد وهو الذي رواه في آخر كتاب الفتن عن شيخه إسماعيل بن موسى الفزاري عن عمر بن شاكر عن أنس أنه قال :"يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر" . الحديث غير صحيح لأجل عمر بن شاكر ضعيف .

أيضًا لم يرحل إلى بعض البلدان كالشام ومصر في وقت مبكر ؛ ولم يرحل إلى بغداد لذا لم يسمع من فلم يذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .مع أن وفاة الإمام أحمد ٢٤١ ھ وعمر الترمذي ٣٢ ،يعني سن من يمكنه السماع منه والتلقي.

شيوخه :

البخاري ، مسلم ، أبو داود ، عبدالله الدارمي ، قتيبة بن سعيد ، أبو زرعة الرازي وغيرهم .

من الشيوخ الذين لازمهم الترمذي : البخاري

• حيث نجد البخاري يقدّر للترمذي حرصه على التلقي ، فروى عن الترمذي بعض الأحاديث وسمع منه فجعله من شيوخه .

مثاله : حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال لعلي :"يا علي لا يحلّ لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك " .قال الترمذي : سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث .

• ونجد البخاري يقول للترمذي : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي .

• ومن تأثر الترمذي بالبخاري التفقه في الحديث .

• كان عابدًا زاهدًا قوي الحافظة .

**تجهيل ابن حزم للإمام الترمذي :**

نص ابن حزم في كتابه المحلى وغيره أن الترمذي مجهول .

والعلماء استغربوا من هذا التجهيل ، وبعضهم يعتذر له بأن جامع الترمذي لم يدخل بلاد الأندلس إلا بعد وفاة ابن حزم ؛ ولكن هذا غير صحيح .

لكن قد يكون منهج ابن حزم تجهيل من لم يعرف عن حياته شيئًا، ولا يكفي عند ابن حزم اطلاعه على الكتاب .

قيمة كتابه العلمية :

انتهى من كتابه سنة ٢٧٠ ، أي قبل وفاته ب٩ سنوات ، وهذا يدل أنه ألفه في حال نضجه العلمي ، و بعد أن رسخت قدمه في العلم .

**اسم الكتاب وموضوعه :**

اختلف العلماء في تسميته فهمنهم من سماه :

١-صحيح الترمذي ، و هذا إطلاق الخطيب البغدادي .

٢-الجامع الصحيح ، و هذا إطلاق الحاكم أبي عبدالله كما ذكر الكتاني في الرسالة المتطرفة .

٣-الجامع الكبير .

٤-السنن ، وهذا استعماله كثير، وسبب التسمية لاشتماله على أحاديث الأحكام مرتبه على أبواب الفقه وهي تسمية شائعة .

٥-الجامع ، وهذا أصوب والسبب أن الكتاب اشتمل على الأحكام من أبواب الدين وهي تسمية مختصرة من اسم الكتاب الحقيقي .

[الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ، ومعرفة الصحيح والمعلول و ماعليه العمل ]

هذه التسمية جاءت صريحة على بعض النسخ الخطية الجيدة لهذا الكتاب .

هل إطلاق لفظ صحيح على كتاب الترمذي صحيح ؟

لا ، لأن كتاب الترمذي فيه الصحيح ، والحسن ، والضعيف والمنكر ، وشديد الضعف ، بل حتى الموضوع و لم يزعم الترمذي صحة أحاديثه .

يقول الذهبي [انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داوود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وأمثالها ]

بل إن الترمذي يعلل الأحاديث في كتابه وينتقدها وهذا يدل أنه لم يقصد التأليف في الصحيح المجرد .

**منهجه في ترتيب الكتاب :**

١-رتبه على الأبواب الفقهيه .

٢-لايستعمل لفظه كتاب، وإنما يستعمل لفظه أبواب فنجده يقول : أبواب الطهارة ، أبواب الصلاة ، ثم تحت هذا العنوان يبدأ يعدد ، فيقول : باب كذا ، باب كذا .

٣-يترجم للمسألة وهو العنوان والتبويب الذي يضيفه، ويورد تحت الباب حديث أو أكثر .

**الصناعة الإسنادية :**

١-يذكر الأحاديث بإسناده .

٢-يتكلم على درجة الأحاديث تصحيحاً وتحسيناً وتضعيفاً .

٣-يتكلم في الرجال والأسانيد، وماتشتمل عليه من علل .

٤-يذكر ما للحديث من طرق أخرى .

٥-اذا كان هناك أحاديث أخرى تناسب الترجمة أشار اليها بقوله: وفي الباب عن فلان وفلان من الصحابة فلا يورد الإسناد رواية .

6- قد يُخرج بعض هذه الأحاديث عقب إشارته لها وهذا قليل ، وقد يكون بعضها تخرج عنده في موضع آخر في كتابه .

٧- أحياناً يورد من دون الصحابي ( هذا الحديث عن صفوان من غير حديث عاصم ) فهو إذن يشير إلى أن الحديث له طرف أخرى غير الطريق الذي أورده، فأحياناً يخرج الطرق وأحياناً لا يخرجها .

\* الصناعة المتنية :

في الصناعة المتنية تأثر بشيخه مسلم .

١- يذكر المتون كاملة في مكان واحد .

٢ يقرن بين الشيوخ ، فيقول حدثنا قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالاً : حدثنا فلان وفلان ، فيورد المتن الواحد بإسنادين في ساق واحد .

٣- استعمل طريقة التحويل ( ح )حينما يورد الحديث من طريق شيخين يجيء بلفظة ( ح ) التي تعني {حول} يعني تحول إلى إسناد آخر ، وأورد الحديث من طريق شيخ ثالث .

٤- كما أنه في بعض الأحيان يورد الحديث بهذه الأسانيد مستقلاً سنداً ومتناً ، فيورد الحديث من طريق هناد بن السرّي كاملاً سنداً ومتناً ، ثم يورد بعد ذلك عن طريق محمد بن المثنى سنداً ومتناً أيضاً وذلك في الغالب ، لبيان الاختلاف الوارد في ذلك المتن أو مافيه من زيادة .

٥- إذا كان المتن هو عينه ، أو فيه اختلاف يسير فأنه يورد الإسناد الثاني ثم يشير إلى المتن إشارة فيقول ( بمثله ) أو ( بنحوه ) .

\* **مزايا كتاب الترمذي :**

تأثر الترمذي في كتابه تأثيراً واضحاً بشيخه البخاري في الصناعة الفقهية ، وبمسلم في الصناعة الحديثية المتنية بل زاد عليها :-

فزاد على البخاري في الصناعة الفقهية بالعناية بأقوال أهل العلم وإيراد اختلافهم ، بل بالترجيح احياناً بين أقوالهم { والتوقيف أصح } وهذا الذي عليه العمل ونحو ذلك من العبارات .

وزاد على مسلم في الصناعة المتنية :-

ينص على حكم الحديث وعلى بيان درجته صراحه .

بيانه للعل وكلام أهل العلم فيه وربما أعلّه معهم أو نفى العله وبيَّن أنها علة يميز مؤثره .

لذلك أعجب العلماء بكتابه حيث جمع بين الطريقتين لشيخيه البخاري ومسلم { الصناعة الحديثية }، وبين {الصناعة المتنية }.

**ولذلك ألفوا عليه الشروح ، وألفت الكتب التي تتحدث عنه:.**

١- مقدمة كتاب عارضة الأحوذي لأبي بكر بن العربي .

٢- مقدمة جامع الأصول لابن الأثير .

٣- كتاب تحفة الأحوذي للمباركفوري.

٤- النفح الشذي لابن سيد الناس ، وتعليق أحمد معبد عليه ، فهو كتاب مهم وبحث مستفيض .

٥- الموازنة بين جامع الترمذي والصحيحين .

* **معنى الحديث الحسن عند الترمذي:**

تأثر الترمذي بشيخه علي بن المديني وهو من اكابر شيوخ البخاري فهو متسلسل في هذه المدرسة.

ولم تكن لفظة الحسن، مستعملة كثيرا في ذلك العصر، لكن أول من استخدمها علي بن المديني ثم البخاري في كتابه متأثرا بشيخه.

ثم استخدمها الترمذي في كتابه، وقعّد لها وبين معناها في كتابه العلل الملحق بكتابه الجامع

فقال الحسن عندنا هو ما حسن إسناده.

وبين شروط الحديث الحسن عنده فقال:

1. ألا يكون في إسناده من يتهم بالكذب (الموضوع وشديد الضعف الذي لا يتقوى).
2. وألا يكون شاذا (الشذوذ من العلل التي لا تجعل الحديث يتقوى).
3. ويروى من غير وجه (يقصد بذلك الحسن لغيره لا لذاته).

أما إذا كان الحديث ليس له إلا طريق واحد فيقول (حسن غريب، حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه)

* **توجيه العلماء لقول الترمذي حسن صحيح:**

تأثر الترمذي في إيراده لهذه العبارة في الحكم على الأحاديث بشيخه البخاري الذي كان متأثرا بالإمام أحمد.

يقول: (سألت محمدا –يعني البخاري-عن هذا الحديث فقال حديث حسن صحيح هكذا قال أحمد)

وهذه العبارة أشكلت على العلماء فكيف يصف الحديث بالحسن والصحة في آن واحد.

منهم من قال:

1/ أنه يقصد حسن باعتبار إسناد، وصحيح باعتبار إسناد آخر.

الرد عليهم:

أن الترمذي يطلق هذه العبارة على أحاديث لم ترد إلا بإسناد واحد مثل حديث (إنما الأعمال بالنيات)

2/أن المقصود أنه صحيح عند قوم وحسن عند قوم هذا الحديث الذي ليس له إلا إسناد واحد

3/ابن كثير رأى أن قوله (حسن صحيح) مرتبه بين الصحيح والحسن فيرى أن أحاديث الترمذي درجات:

صحيح\_ صحيح غريب\_ حسن صحيح\_ حسن\_ ضعيف.

الرد عليهم:

أن هناك أحاديث في أعلى درجات الصحة لا يختلف عليها العلماء يقول عنها حسن صحيح

4/ يقصد أن الحديث صحيح، ويقصد بالحسن: الحسن اللغوي: المتن.

الرد عليه:

\*لقد صرح الترمذي بأنه يقصد بالحسن ما حسن إسناده يعني يقصد المعنى الاصطلاحي وليس اللغوي.

\*كما أن الحسن اللغوي يكون حتى في الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

\*ثم إن حديث رسول الله كله حسن، فلماذا يقول عن بعضها صحيح، وبعضها صحيح حسن.

**الرأي الراجح:**

وهو الذي يراه ابن سيد الناس في النفح الشذي:

أنه لا ينبغي أن لا يجزم في موضع من المواضع بأن الترمذي يريد كذا وكذا، بحيث يعطي قاعدة عامة بمراد الترمذي بذلك اللفظ.

بل ينبغي أن نقوم بدراسة لكل حديث من الأحاديث التي أطلق عليها هذا الحكم، وجمع طرق الحديث المعرفة لتوجيه مراده من تلك العبارة في ذلك الحديث.